المنهل

شوال ١٣٥٨

مطبعة العربية — بمكة



مجلة تخدم الادب والثقافة والعلم

لمنشئها

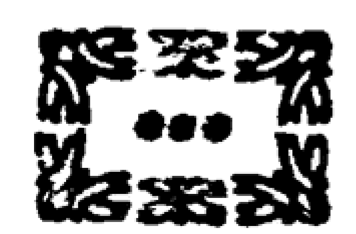
عبد القدوس الأنصاري

قيمة الاشتراك : فى المملكة العربية السعودية (٣) ريالات عربية وفى الخارج (٧) ريالات عربية. وللطلبة فى الداخل (٢) ريال عربى ـ الاجزاء المفقودة فى الطريق لا تعد الادارة بتعويض المشتركين عنها ولكنها تحرص على ان تصل

المقالات لا تقبل للنشر فى المنهل الا اذا كانت له خاصة ولا تعاد لاصحابها نشرت أم لم تنشر .

الاعلانات يتفق بشأنها مع الادارة

العنوان — ادارة مجلة المنهل بالمدينة المنورة « الحجاز »



السنة الثالثة　　الجزء الحادي عشر　　المجلد الثالث

المنهل

مجلة تخدم الأدب والثقافة والعلم

شوال ١٣٥٨　　نوفمبر ١٩٣٩

كلمة المحرر

أحاسيس الخيال

من وراء أكمة المستقبل البعيد

أشبع الكاتبون البحث في « هل الحروب داء البشرية المحطم . أو دواؤها المنظم » وأبناء الجيل الحاضر شهدوا الحرب العالمية الماضية وخبروا آثارها وتلبسوا بنتائجها . نخيراً أو شراً . فصار لهم الحق في مشايعة احدى النظريتين بحكم العيان . والعالم اليوم يشتد وجيبه تحت تأثير دوي الحرب الحاضرة . وليس من شأننا البحث في مفصل احوالها . انما الشأن اننا نحب أن نزجي إلى قرائنا الا كرمين « حقيقة علمية » اقتنصها الخيال السابح من أجواء المستقبل العتيد . وتلك هي أن هذه الحرب : على أية حال تضع أوزارها فانها تبدل نظريات البشر في كثير من شؤون الحياة وتغير ميولهم ومجرى تفكيرهم إلى ألوان جديدة . والحرب العالمية الماضية برهان لامع على أحقية هذه النظرية ، وسبحان من يغير ولا يتغير : له الأمر من قبل ومن بعد وهو الفعال لما يريد ؟



— ٩ —

الابطح – شعب بني كنانة – المحصب

ما زالت رسائل القراء متتابعة على المحرر يتساءلون في شغف عن مباحث سعادة الاستاذ المحقق رشدي بك الصالح ملحس وكنا على علم بان سعادته انما تأخر عن موالاة كتابة بحوثه القيمة الممتعة لانشغاله في مهمة علمية نبيلة هي كتاب أخبار مكة للازرقي وفهارسه ، يضاف إلى ذلك عدم استقراره في مكان واحد . واليوم وقدجادت مكارمه بالفصل التاسع من (معجمه النفيس) فاننا نزفه إلى القراء شاكرين عنايته وراجين له دوام التوفيق
المحرر

قال الازرقي في بحث المحصب وحدوده . عن ابن عباس ان المحصب ليس بشيء انما هو منزل نزله رسول الله ﷺ وبه قال سفيان عن عمرو بن دينار عن صالح بن كيسان عن سلمان بن يسار عن ابي رافع وكان على ثقل النبي ﷺ قال لم يأمرني النبي ﷺ أن انزل الابطح ولكن ضربت فيه قبته فجاء فنزل . قال عطاء لا تحصب ليلتئذ انما هو مناخ للركبان ، قال وكان أهل الجاهلية

يحصبون . قال ابن جريج وكنت أسمع الناس يقولون لعطاء انما نزل رسول الله ﷺ ليلتئذ المحصب ينتظر عائشة فيقول لا ، ولكن انما هو مناخ الركبان فيقول من شاء حصب ومن شاء لم يحصب . . . وعن عائشة انها قالت انما كان النبي ﷺ ينزل به لأنه كان اسمح لخروجه حين يخرج فمن شاء نزله ومن شاء تركه . وحد المحصب من الحجون مصعداً في الشق الأيسر وأنت ذاهب الى منى الى حائط حزمان مرتفعاً عن بطن الوادي فذلك كله المحصب وربما كان الناس يكثرون حتى يكونوا في بطن الوادي (أخبار مكة ج ٢ ص ١٢٨) وقال في بحث منزل النبي ﷺ عام الفتح : عن أسامة بن زيد قال : قلت يا رسول الله أين منزلك غداً ؟ قال وذلك في حجته ، قال : وهل ترك لنا عقيل منزلا ؟قال : ونحن نازلون غداً ان شاء الله بخيف بنى كنانة — يعنى المحصب — حيث تقاسمت قريش على الكفر ، وذلك ان بنى كنانة حالفت قريشا على بنى هاشم لا يناكحوهم ولا يوارثوهم الاابا لهب فانه لم يدخل الشعب مع بنى هاشم وتركته قريش لما تعلم من عداوته للنبي ﷺ وكانت بنو هاشم كلها مسلمها وكافرها يحتمى للنبي ﷺ الا أبا لهب ، قال أسامة : ثم قال النبي ﷺ عند ذلك : لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم .

عن عبد الله بن أبي بكر قال : قال رسول الله ﷺ اذا قدمنا مكة ان شاء تعالى نزلنا بالخيف الذي تحالفوا علينا به ، قال ابن جريج : قلت لعثمان أي حلف ؟ قال : الاحزاب . وبه عن الزنجى عن ابن جريج عن عطاء ان النبي ﷺ لم ينزل بيوت مكة بعد ان سكن المدينة ، قال : كان اذا طاف بالبيت انطلق الى أعلا مكة فضرب به الابنية ، قال عطاء : وفعل ذلك في حجته أيضا نزل بأعلا مكة التعريف ، وليلة القدر نزل بأعلا الوادي (كذا ج ٢ ص ١٣١) .

وقال في وصف « الشعب الصفى » : شعب الصفي وهو الشعب الذي يقال له صفي السباب ، وهو ما بين الراحة — والراحة الجبل الذى يشرف على دار الوادي عليه المنارة — وبين نزاعة الشوى وهو الجبل الذي عليه بيوت ابن قطر ،

والبيوت اليوم لعبد الله بن عبيد بن العباس وله يقول الشاعر :

اذا ما نزلت حذو نزاعة الشوى بيوت ابن قطر فاحذرو أيها الركب

وانما سمي نزاحة لأن قريشا كانت في الجاهلية تخرج من شعب الصفى فتبيت فيه في الصيف تعظم المسجد الحرام ثم يخرجون فيجلسون فيستريحون في جبل فسمي ذلك جبل النزاحة وقال بعض المكيين : انما سمي صفى السباب لان ناساً في الجاهلية كانوا إذا فرغوا من مناسكهم نزلوا المحصب ليلة الحصبة فوقفت قبائل العرب بفم الشعب شعب الصفى فتفاخرت بآباءها وأيامها ووقائعها في الجاهلية فيقوم من كل بطن شاعر وخطيب فيقول : منا فلان ولنا يوم كذا وكذا فلا يترك فيه شيئاً من الشرف الا ذكره . ثم يقول : من كان ينكر ما يقول فأوله يوم كيومنا فأوله فخر مثل فخرنا فليأت به ، ثم يقول الشاعر فينشد ما قيل فيهم من الشعر فمن كان يفاخر تلك القبيلة أو كان بينه وبينها منافرة أو مفاخرة قام فذكر مثالب تلك القبيلة ، وما فيها من المساوي وما هجيت به من الشعر ثم فخر هو بما فيه . فلما جاء الله تعالى بالاسلام أنزل في كتابه العزيز (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم أو اشد ذكرا) يعني هذه المفاخرة والمنافرة أو اشد ذكرا وله يقول كثير بن كثير السهمي :

سكنوا الجزع جزع بيت أبي موسى الى النخل من صفى السباب

وكان فيه حائط لمعاوية يقال له حائط الصفى من أموال معاوية التي كان اتخذها في الحرم . وشعب الصفى أيضاً يقال له : خيف بني كنانة وذلك ان النبي ﷺ وعد المشركين فقال : موعدكم خيف بني كنانة . وشعب بني كنانة من المسجد الذي صلى فيه على أبي جعفر أمير المؤمنين الى الثنية التي تهبط على شعب الخوز في وجهة دار محمد بن سليمان بن على (كذا ج ٢ ص ٢٢٢) .

وقال ياقوت : صفى السباب . موضع بمكة . . وصفى السباب ما بين دار سعيد الحرشي التي بناها الى بيوت أبي القاسم بن عبد الواحد التي باحلها المسجد الذي صلى على أمير المؤمنين المنصور عنده ، وكان به نخل وحائط لمعاوية فذهب

ويعرف بحائط خرمان (ج ٥ ص ٣٧١

وقال فى مادة « الابطح » الابطح يضاف إلى مكة وإلى منى لأن المسافة بينه وبينهما واحدة وربما كان إلى منى أقرب وهو المحصب وهو خيف بنى كنانة وقد قيل انه ذو طوي وليس به (ج ١ ص ٨٥)

وقال فى بحث « كنانة » وشعب بنى كنانة بين الحجون وصفى السباب (ج ٧ ص ٢٨٢)

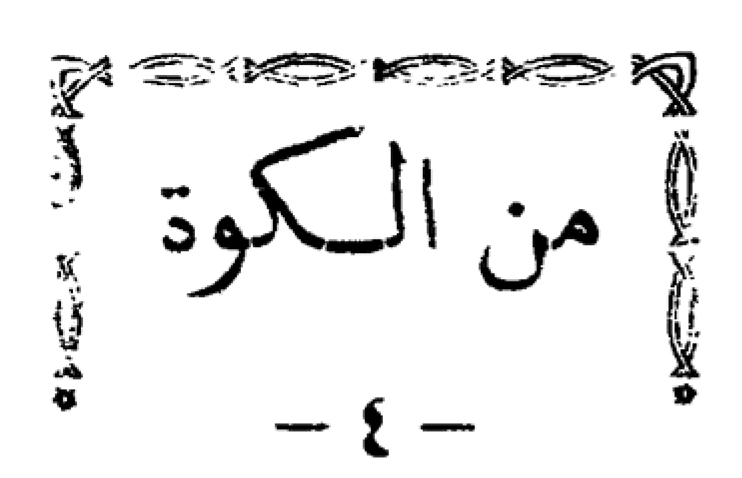
وقال فى بحث « المحصب » وهو موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب وهو بطحاء مكة وهو خيف بنى كنانة وحده من الحجون ذاهبا إلى منى

وقال الاصمعى حده ما بين شعب عمرو إلى شعب بنى كنانة وهذا من الحصباء التى فى أرضه (ج ٨ ص ٣٩٥)

وقال البكري فى بحث احجار المراء » موضع بمكة على لفظ حجر كانت قريش تماري عندها وهى صفى السباب ، روى ذر عن أبى قال لقى النبي ﷺ جبريل عند أحجار المراء ، فقال انى بعثت إلى أمة أمية فيهم الغلام والعجوز والشيخ العامى . فقال جبريل فليقرؤا القرآن على سبعة أحرف .

(معجم ما استعجم ص٧٧ و ٦١١)

(للبحث صلة) رشدى الصالح ملحس



من الكوة

— ٤ —

للاستاذ ابراهيم هاشم فلالى

وقمت من مجلسي بالكوة واتجهت الى السياج الخيزراني ظنا مني ان الفتاة وامها تتجاذبان اطراف الحديث بداخله كما كانا في الليلة الماضية .

ولكن لم اجدهما وكأنهما اكتفتا بما سمعتاه من الشيخ وآثرتا النوم على الامعان في السهر فانصرفت متمنيا لهما نوما هادئا واحلاما لذيذة وعافية من الاسواء.

وفيما انا انحدر من الربوة بدا لي منظر الطبيعة في ذلك الليل الهادىء جميلا رائعاً . فلقد كان القمر ينتقص من ظلمة الليل التي كان يحاول ان يلتهم بها الارض. بما يفيضه عليها من اشعته البيضاء الصافية . وكانت الظلمة تلوذ بسفوح الجبال ومنعطفات الفجاج حيث تحجب القمم الشامخة اشعة القمر من النفاذ اليها . وكان الافق يتدلى بكواكبه المتؤلقة على الارض فيحلى جيدها بحبات من الماس المتلألىء وكان المهمه الواسع وما انتثر فيه من صخور وتلال يتطلع الى السماء في صمت يدعو الى الرهبة . وكان الهواء يترقرق نديا فيلامس الجسم في حنان كحنان الأم الرؤوم تغمر به طفلها . فاستهواني ما رأيت وجعلني اسير على غير هدى . وعند ما انتبهت لنفسي بدا لي ان اعطف على مكان كانت تتراءى لي اضواء مصابيحه المرتفعة عن بعد كما تتراءى اضواء الشواطىء للممتطي متون القوارب وهم في اللجة فقصدت اليه كما يقصد الملاح اقرب ساحل خشية ان يفاجئه الليل بما لم يكن في حسبانه وهو في عرض البحر . وما ان بلغته حتى حبب الى ذلك المكان المنعزل بمصابيحه المتوهجة كتابة ما سمعته من سمر الاسرة تحت اضوائها وما بارحته حتى كان ما كانت تهجس به النفس منقوشا — كما يراه القراء — على هذه الصفحات.

وما حان الحين المعتاد — في الليلة الثانية — وازفت الساعة التي ينعقد فيها اجتماع الاسرة ليزجي الشيخ نصائحه اليها حتى رأيتني اتسلق الربوة في عنف وسرعة . وما اخذت مجلسي من السكوة حتى كان الشيخ قد بدأ حديثه في تراخ وتؤدة قائلا .

اي بنى : ان الناس لم يبلغوا ذروة الكمال المطلق وما من احد من البشر بلغ المرتبة الممتازة في نقاء النفس . وصفاء السريرة الا الانبياء والمرسلون صلوات الله عليهم اجمعين . وستضطرك ضرورات الحياة ومستلزماتها الى الاختلاط بالناس فلا تتوقع ان تكون بأمن من مكروههم مهما احسنت اليهم . ولا يؤدين بك الظن الى انه لا يصلك منهم الا ما تحمده لهم مهما طبت معهم . ولكن لا يمنعنك ذلك من مخالطتهم والاتصال بهم . على ان تجعل علاقة ما بينك وبينهم قائمة على مبدأ قويم وخلق مستقيم دون ان تفكر في ايصال الاذى اليهم . ولا يروعنك ماعساه ان سيصلك من اذاهم بل قابل ذلك منهم بالاحسان اليهم والصبر عليهم . وانتخب الاصحاب وتخير القرناء ثم لتكن صلتك بمن تخيرت من القرناء ومن انتخبت من الاصحاب مبنية على حب لا تشوبه ضغينة . وود لا يمازجه كراهة . ومصاحبة لا ينفذ اليها ملل ومزاورة لا تؤدي الى سأم ومجاملة لا يعيبها ملق ومداراة لا يتخللها نفاق . ثم لا تكثر من لوم اصدقائك وخلانك ولا تجافهم واذا جفوك فاحفظ قديم ودادهم وارع سالف صحبتهم ولا تذكر مثالبهم . وان جادلت فجادل بالحسنى وتسامح لمن زل عليك واذا زللت على احد فاعتذر . فانك ان عملت بما اشير عليك ارجو ان تكون محبوبا من اقرانك موثوقا فيك من بين خلانك . ولا شيء مثل الثقة اذا منحتها ولا اثمن من الحب اذا ظفرت به وليس اعيب للمرء من ان يكون مبغوضا في بيئته . مرذولا بين عشيرته غير موثوق به من اخوانه . ولا شيء يؤدي بك الى هذا الذي اكرهه لك الا ان تكون مريبا في قصدك متلونا في سيرك لا يوثق بعهدك . ولا يعتمد على وعدك .

واذا رأيت الناس يكرهون شخصا فلا تندفع في كرهه كما يندفع الاغرار في كره

من لا يعرفون . فانك ان تكره احداً او تتحامل على احد لا لشيء الا لانك رأيت الناس يكرهونه ويتحاملون عليه كنت كذلك الاحمق الذي يقال عنه انه رأى الناس يضربون شخصا فاشترك معهم في ضربه فقيل له ما دعاك لذلك قال رأيت الناس يضربونه فضربته حبا في المثوبة وطلبا للأجر. وما عليك اذا اهمك امره الا ان تبحث عن السبب الذي من اجله كرهه الناس ليكون كرهك له على علم وبصر . فان الناس قد يكرهون لرجل ولا ذنب له عندهم سوى امتيازه عليهم في كثير من الشؤون او لترفعه عن كثير من الدنايا التي هم فيها واقعون او نجاحه في اعمال كانوا هم فيها من المخفقين . او لنعمة اصابها فهم له عليها من الحاسدين ولا تخض فيما يتحدث به المبغضون لذوي الجاه والمكانة . والحاسدون لذوي النعمة واليسار . والموتورون من ذوي النفوذ والسلطان . والمنتقصون من مكانة ذوي الورع والتقوى والواضعون من قيمة اهل العلم والفضل . والوالغون في الأعراض والآكلون لحوم الابرياء .

واذا رأيت رجلا ظهرت ابهته وعلت مرتبته و بعد صيته فلا تكن بوقا تشيد بمفاخره وتغلب في مناقبه اغتراراً منك بظواهره ولكن تسقط اخباره عن بعد . وادرسه عن كثب حتى تعلم من حقيقته ما قد يخفى على غيرك وإن دفعك دافع للاتصال به فتعرف مداخله واحذق مخارجه فان استهوتك منه رجولة مكتملة وصفات فذه ورافقك الاقتراب منه والارتباط به . فاقدم على ذلك اذا امنت الاحتفاظ بكينونتك بجانبه فانه وايم الله ليعزعلي ان تندمج شخصيتك في شخصية غيرك ويصعب على نفسي ان يفنى وجودك في وجود سواك .

ولا ترهق نفسك بمصاحبة من يستطيل عليك بلسانه او يفخر عليك بماله او يزهو عليك بمكانته او يستخف بك لوجاهته . وصاحب من لا يترفع عليك ولا يستهين بصحبتك . واذا اخترت رجلا عاديا خلواً من الجاه بعيداً عن الشهرة صفرا من الالقاب . ولكن له من نبله ما يبعده عن المساوىء ومن بعد همته ما يرفعه عن الدنايا . ومن مروءته ما يصده عن مقارفة الخطيئة ومن دخائله

ما يبعث على التقدير . ومن (وحائده) مايدعو الى الاكبارفاحترمه وتودد اليه ولا يضيرك عدمه فان مثل هذا لايزريه الفقر ولا يطغيه الغنى ولاتزيد فى قدره الوظائف ولا تستخفه الالقاب . ولا تنقص من مكانته فقدانها . فاذا وفقت لمصاحبة مثل هذا فلقدربحت . وربما يروقك من مثل هذا ان يكون كثير المعارضة لك — اذا استحكمت بينك وبينه الالفة — شديد النقد عليك عديم المجاملة فى كثير مما يبدو منك فلا يسوؤك ذلك منه فانما دفعه على اتيان مايأتى اخلاصه لك والوصول بك الى غايتك على الوجه الاكمل فلاتضق ذرعاً بنقده وصراحته ولاتسأم من شدة معارضته فمثل هذا مع ما يبدو منه مماقدلا تحتمله لاول وهلة اذا رأى الصواب فى جانبك انحاز اليك وضم رأيه الى رأيك فى غير مكابرة ولا معايرة ثم هو لايذيع عنك بين الناس الاما يحببك اليهم ويقربك منهم وستحمد له محبته فى العقبى . وما ارشد من يتخذ لنفسه صاحباً يدله على مواطن ضعفه فيعمل على ازالتها . ومكامن قوته فيسعى فى تنميتها . اما اذا مال الانسان مع اهواء نفسه فقد يحرم من مواهب عقله . فلا تكن من الذين يستجيبون لدواعي النفس ونزعات الهوى فقاوم فى نفسك نزعتها . وروضها على ترك ما يخل بكرامتها . وابتعد عن المتملقين الذين يحسنون لك كل ما يصدر منك ويزينون لك فعل ما لا يليق بك اذا آنسوا منك ميلا لذلك فالمتملق كالشيطان . فكما ان الشيطان يسول للانسان عمل السيئات كذلك المتملق يحبذلك كلماتأتيه من خطأ اوصواب . ثم هو لا ينفعك بشيء .

ولا تضع نفسك موضعاً يهبط بك الى مستوى الذين لا يؤبه بوجودهم . ولا يعتد برأيهم . ولا يسمع منهم قول ولا يعتمد عليهم فى مهم . فلا تكن ضعيف النفس خائر الرأي ساقط الهمة ترضى من الحياة بالهون اوتقنع فيهابالدون . فما كان لغيرك ان يكون اعظم منك فى الحياة قدراً ولا اجل منك فيها خطرا . لولا استجابته لدواعي الرجولة . واستهدافه لاعمال البطولة . وقد خلق الله البشر من طينة واحدة فلا تكن اقل من غيرك فى شيء يدعو الى الاحترام واذا كان من

السخف ان تطلب من الناس ان يحترموك لانك جدير باحترامهم فكيف بك اذا طلبت منهم ذلك وليس لديك ما يؤهلك له . وانى اربأ بك ان تكون فظا لا يحتملك الناس · او غليظا يستعيذون بالله منك كما يستعيذون به من الشيطان. او شريراً يربأون بانفسهم عنك كما يربأون بانفسهم من الشرر يتطاير من كور الحداد . او دنيئا يبتعدون عنك كما يبتعدون عن الروائح المنتنة التى تصاعدمن الاكنفة والمواخير او ثرثاراً يضيقون بك كما يضيقون بطنين الذباب وزنزنة البعوض اومهذاراً يصمون آذانهم عنك ترفعاً بانفسهم لئلا يعلق باذهانهم ما تمجه الآذان وتقزز منه النفوس .

وان بسط لك فى الرزق او صرت على شيء من العلم او منحت شيئا من قوتى اللسان والجسم فلا يغرينك ذلك على الاستطالة به على الناس . واذا نطقت فاعجبك بيانك فلا تتلفت يمينا وشمالا زهواً بما وفقت اليه من القول فان قبح العجب يذهب بحسن ما القيت من جيد الكلام .

وان منيت بالعدم فكن عزيز النفس و « لا تسع بقدميك الى من يراك دونه فتصغر فى عينه واجعل انقطاعك عنه فى مقابلة كبريائه عليك فان عزة النفس تضاهى جاه الملوك فان انت قبلت نصحي رشدت وان خالفتنى كنت كمن صير الماء العذب فى اصول الحنظل كلما ازدادت ريا ازدادت مرارة (١) » وليكن مخبرك احسن من مظهرك . ولا تتكلف الاتيان بما ليس فى مكنتك . ولا ترهق نفسك بما ليس من سجيتك ولا تحاول ادعاء ما ليس فيك . ولا تتحمل فوق طاقتك . ولا تبدأ من عمل يعييك اتمامه . واعلم بان كل ما تنطوي عليه نفسك من نبل او نذالة من علم اوجهالة . من فطنه اوغباء . من سذاجة اودهاء .لابد وان تظهره الايام بالرغم منك

ومهما تكن عند امرىء من خليقة   وان خالها تخفى على الناس تعلم

(١) هذه الجملة التى بين القوسين للامام على كرم الله وجهه ورضى عنه

واذا ترأست قوماً . فلا تستخفن بمرؤوسيك اذ ربما كان فيهم من هو اقوى منك رأيا . واكبر منك عقلاوا كثرمنك تجاربا . واكمل منك معرفة . ولكن القدر صنع صنيعه فرفعك وخفضهم . فاذا جهلت مكانهم لا يتضامنون معك . وكانوا حرباً عليك حتى اذا وجدوا الفرصة عملوا على التخلص منك وازاحوك كما تزاح بيوت العنكبوت لا وهى الاسباب .

واذا كنت مرؤوساً فلا تكن ذليلا فى نفسك . ولا مقصراً فى عملك . واحترم رئيسك واحب قرينك ولا تحتقر من هو دونك . واجعل الصبرعدتك. والاحتمال مؤونتك واعتمد على الله فى جميع شؤونك ومضى اوقات فراغك فيما ينفعك فى دنياك ودينك .

كن نظيفا فى مطعمك وملبسك ولا تفرط فى الاناقة فيهما . فالافراط فى الاناقة من سيماء حديثي النعمة وربما ادى بك ذلك الى القلس .

***

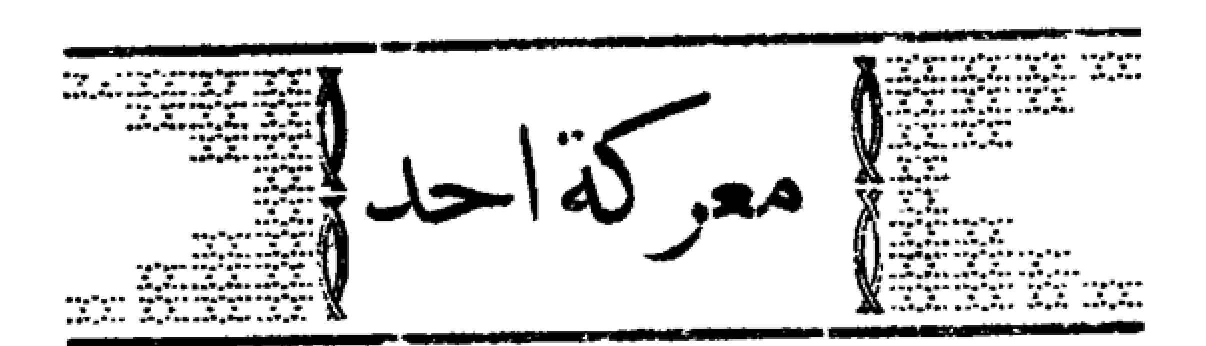
ثم توقف الشيخ عن حديثه واخذ يداعب لمته باصابعه المرتعشة كمن يفكر فى شيء فظننا ان سكوته لفكرة عارضة او لخاطرة هجس بها ضميره فراح يفكر فى العبارة التى تجلوها لتكون قريبة الفهم من ابنه كما هى عادته ولـكنه مالبث ان قال لقدابديت لك — يابنى — من الافكارماانا مقتنع بصحته وما آليتك جهداً من نفسى فى سبيل ارشادك وبذلت لك من النصح ماظننت انك فى حاجة اليه .

والآن ارى ان لا اكثر عليك لئلا يتسرب اليك الملل من الا كثار . وما اسرع ان يتطرق الملل من النصح الى قلوب الشباب والفتيان من امثالك وربما استاء ابوك اذا رأى علائم ذلك بادية عليك . وما ينبغي ان احملك على ذلك او ادنيك منه . فلاقف بك عند هذا الحد . ثم اذا بدالك ما تراه يحسن بك ان تعرضه على عاطفتك الرأي وشاركتك الحديث . وما كنت لابخل عليك بما ارى فيه نفعاً لك انشاء الله .

فقال الفتى . ما كنت لاسأم من حديثك . وما كان لابنك ان يمل من سمرك . وان كان لي ان ابثك بما اشعر به نحوك وانت تحادثني فاهو الا انى كنت ومازلت اتمنى ان لو تغادرك الشيخوخة ويبتعد عنك الكبر فلا ارى فيك وهنه ولا اشاهد فيك ضعفه ويتحول اليك شيئا مما اجده فى نفسى من نشاط الفتوة وحرارة الشباب لا ستكثر من نصحك . فما كان شيء يحز فى قلبي مثل رؤيتى لك وانت تجهد نفسك فى مكالمتى وما كان يصرفنى عنك الاحرصى على راحتك . ولولا ذلك لاطلت الاصغاء اليك والاستزادة من سمرك ولكن كنت اشفق عليك من الامعان فى السهر . فانصرف عنك وما بى رغبة فى الانصراف .

فابتسم الشيخ وربت على كتف ابنه وقال له اسأل الله لك الهداية والرعاية. كما أسأله ان يقيك من الفتن والمحن ويعيذك من شرور الناس وغدر الزمن . والآن لاقف بك عند هذا الحديث ليتسنى لنا الخوض فى شتى الاحاديث ؟

تم البحث — مكة — ابراهيم هاشم فلالى



— ٨ —

مقابلة بين أثر بدر وأثر احد

إذا وضعنا أثر غزوة بدر في قريش ، بكفة ، ووضعنا في الكفة الأخرى أثر غزوة أحد في المسلمين ؛ رجح تأثر قريش ببدر على تأثر المسلمين بأحد ، وبيان ذلك ان المسلمين قتلوا من قريش يوم بدر (٧٠) رجلا من أسودهم ، وأسروا منهم (٧٠) من أبطالهم ورؤسائهم ، وغنموا اسلابا كثيرا وأموالا طائلة ولم يفقدوا من جيشهم سوى (٨) نفر أكرمهم الله بالشهادة ، أما في أحد فان قريشا قتلت من رجالات الاسلام (٧٠) فقط ، ولم يأسروا أحداً منهم ، حالما أن المسلمين فتكوا بأربعة وعشرين من رجال قريش في هذه الموقعة ؛ وهذا إذا عددنا في جملتهم ابي بن خلف قتيل النبي ﷺ الذي قضى نحبه راجعا إلى مكة من أثر طعنة الرسول له .

وعلى هذه المقارنة الحربية فان لقريش ان تعتقد بعدم نجاح حملتها في غزوة أحد ذلك النجاح الذي يوازي المجهودات العنيفة ، والاستعدادات الهائلة والمراحل الطويلة التي اجتازتها إلى المدينة . ثم انك إذا اقتفيت مراحل معركة بدر تجدها انهزاما لقريش على طول الخط ، واذا تتبعت مراحل أحد تجدها سجالا بينهم وبين المسلمين ففي أول المعركة انتصر المسلمون، وانهزموا في وسطها، وثبوا إلى مراكزهم في آخرها ؛ واستبسلوا بعدها وتعقبوا عدوهم إلى مسافة شاسعة طالبين النزال والفصل الأخير .

هذا رأي نبديه اليوم على ضوء المعلومات التاريخية المدونة ؛ وانا لم أر

أحداً من المؤرخين أو الكتاب الذين سبقونا إلى التحدث عن غزوة أحد عرض لهذه المقارنة الحربية وتلك منة نحمد الله على التوفيق اليها .

القرآن يصف المعركة بدقة. أما الشعر فيتغنى بها

ومن أهمية غزوة أحد وخطورة شأنها ، خصص الله تعالى (٦٠) آية من آي الذكر الحكيم فى سورة عمران لوصف هذه المعركة ، وتبيان تطورها ومقدماتها ونتائجها ، وتأثيراتها المختلفة ، وأوضاعها ، وآثارها ، وكان سدى هذا الوصف القرآنى الحكيم الدقة التامة وكانت لحمته الجلى اسداء العظات البالغة وفتح طريق النجاح والفوز للمسلمين في المعارك القادمة ، بايضاح مواضع اخطائهم لهم ، تلك الاخطاء التى كانت سبب ابتلائهم بالهزيمة . أما الشعر فقد ذهب فى وصف المعركة مذهبه الخاص المشحون بالخيال والعواطف المختلفة .

وبعث الحماسة فى الصدور خصوصا من الجانب القرشي؛ والشعر هو الشعور الذى يتأثر بالدوافع الشخصية والشعبية، وهو لهذا يضفى ثوب التضخيم والتهوين على ما يصفه تبعا لرغبة الشاعر وميلا مع ريح هواه ونزعاته. والمؤرخ الحصيف يلاحظ فى اشعار قريش أثر هذه الغزوة انهم كانوا مملوئين بالفرح والغبطة مزدهين بالغلبة والفوز ، وهذا فى الحقيقة أثر من آثار تهويلهم ، على أنهم وان لم يدحروا جيش الاسلام كما يرومون، وان لم يقضوا على النبي وصحابه كما ينشدون، فانهم قد بلغوا منهم بعض النكاية عن قتلوهم من أبطال الاسلام فى هذه المعركة، وناهيك بقتل سيد الشهداء والتمثيل به وبكثير من ليوث المسلمين . بهذا تأثر شعراء قريش ، ولهذا اطنبوا اطنابا خياليا أظهر لهم المستقبل انه أجوف — في وصف قوتهم ، ومنعتهم وقضائهم على ليوث الاسلام . أما شعراء الجانب الاسلامي فان دينهم المتين كان ينير لهم السبيل فيمنعهم ذلك من التبجح بغير الواقع ، ولذا كانوا فى قصائدهم الواصفة لهذه الغزوة ولآثارها مدافعين أكثر مما كانوا مهاجمين ، فهم يذكرون قريشا بان الحرب سجال ، وان عزة الاسلام باقية،

وان هذه الحادثة لم تهدم اركانه ، ولم تقوض بنيـانه ، فالنبى ﷺ حي يرزق وكثير من اصحابه أحياء وهؤلاء كلهم هم الحماة الذين يقومون بتبليغ الاسلام والذب عن حياضه حتى يعم الخافقين ، وقد حقق الله احلامهم وابطال الملحمة الشعرية ، بعد الملحمة الحربية من جهة قريش هم :

(١) عبد الله بن الزبعرى ، وهو القائد المتطاول (٢) هبيرة المخزومي (٣) هند بنت عتبة (٤) ضرار بن الخطـاب الفهرى (٥) عكرمة بن ابى جهل (٦) الاعشى بن زرارة التميمي (٧) عمرو بن العاص (٨) ابو سفيان بن حرب .

أما ابطال الملحمة الشعرية من ناحية المسلمين فهم :

(١) حسان بن ثابت وهو القائد المدافع اللبق (٢) كعب بن مالك (٣) الحجاج بن علاط السلمي (٤) عبد الله بن رواحة (٥) على بن ابى طالب (٦) صفية بنت عبد المطلب (٧) نعم بنت سعيد (٨) ابو الحكم بن سعيد اخو نعم .

وهكذا اتفق ان كان عدد ابطال الملحمة الشعرية فى الفريقين المتنـاضلين متساويا . ثمانية مقابل ثمانية . فلمن كان النصر ؟ وعلى من كانت الهزيمـة ؟ لا نرتاب في أن قصـائد عبد الله بن الزبعرى قد دوت اصداؤهـا فى أودية قريش ومن كان على معتقدهم ، وكان لها اثرها البالغ فى سد كثير من ثلم هروبهم واستعجالهم اللحاق بمكة ، وكان لها ضلع في تجسيم انتصار قريش عند مناصري فكرة قريش وعقيدتهم ، وعند مناوئى الاسلام وعقيدته ، ولـكن هذا الأثر القوى الذى أوجدته قوة شاعرية ابن الزبعرى قد خفف من حدته ؛ وأضعف من قوته قصائد حسان بن ثابت العصماء ، فان له من الشهرة في عالم الشعر ، وله من قوة العارضة البيانية في شعره عامة وشعره الاسلامي خاصة لانه أشرق بنور الاسلام — ما جعله المقدم المنصور على جميع من ينـابذهم من الشعراء ومن هؤلاء الشعراء الذين قضى على تأثيرهم عبد الله بن الزبعرى نفسه والعربى الذى يقرأ افتتاح احدى قصائد حسان التى وجهها الى ابن الزبعرى اجابة له على

قصيدة من لونها ووزنها وقافيتها — ان العربي الذي يقرأ قوله له في مستهل تلك القصيدة :

ذهبت بابن الزبعرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل

يشعر بالتهكم اللاذع ، والسخرية القاتلة ، والتجهيل الصادم ، ما يقوم عنده أعظم برهان على استعلاء شعر حسان على شعر ابن الزبعري وتفوقه عليه تفوقاً باهراً ، وحسان فوق ذلك يروي حديث الملائكة وينشر أعلام ذكريات بدر بنصرة الرسول بجبريل وهو يكبت بذلك شعراء المشركين لما لهذه المعاني ولهذه الجمل من الأثر الهائل في قلوبهم الواجفة من انتشار الاسلام في مستقبل قريب أو بعيد .

أما المحنكون من قريش وأما قادتهم وذوو الرأي منهم ، وأهل الخبرة منهم فانهم قد ادركوا أن السياسة العظيمة التي بنوا عليها غزوتهم في مكة قد فشلت ، وتلك هي القضاء على الاسلام بالمرة ودك حصونه وتبديد أهليه وأبادتهم من الوجود (١) ، وانت تدرك حقيقة فهمهم لوصولهم لهذه النتيجة الفاشلة من قول ابي سفيان بن حرب بعد انتهاء المعركة : « يوم بيوم بدر » فقد اكتفى اذن بان قريشاً انتقمت لقتلاها يوم بدر بقتلى المسلمين يوم أحد ، فلا ابادة للاسلام ولا تحطيم اذن ، ومن ذا يطيق تحطيم الاسلام من البرايا وهو نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون ؟

(تم البحث) عبد القدوس الانصاري

---

(١) تدرك هذه السياسة التي بنت عليها قريش غزوة أحد من قول قائدهم الأعلى ابي سفيان في أبيات له يخاطبهم بها :

آليت لا اقرب النساء ولا يمس رأسي وجلدي الغسل
حتى تبيدوا قبائل الاوس والخز رج ان الفؤاد مشتعل



دجال !!

تنبيه : القصة كلها خيالية ولكنها تصور جانبا عظيما من حياتنا

دخل فريد المدرسة ولم يستقر بعد حتى ضاق بالمدرسة والفصل وأوشك ان يخرج من الفصل ليلحق بابيه الذي أودعه المدرسة الآن ، إذ انه وجد المدرسة خلافا لما كان يظن أو على الاقل لما كان يخبره به والده عند ما كان يحفظ القرآن فالنظام بين التلامذة مفقود ، والنظافة شيء قلما يعتنى بها تلميذ ، والاخلاق تقرب ان تكون فوضى ولقد ازدادت دهشته حينما رأى رجلا ضخم البنية مقطب الجبين يتخطى باب الفصل وفي يده عصا ظن فريد انه يتخذها زينة له ولكنه لم يلبث ان رآها تهوي على أجسام بعض التلامذة فتلهبها ضربا ، فحاول ان يدرك معنى لما يشاهد امامه من منظر ولكن عقله الصغير ارتد خائبا عن تفهم معنى للضرب الخاص بالانعام يجري وبدون حساب في المحال التي أسست من أجل التربية والتعليم ، وعجب كيف يضرب تلميذ يراد به ان يكون المثال الحسن والقدوة الصالحة لبقية أترابه وزملائه ، ويكون ذا حس مرهف ونفس ابية لا ترضى الذل والهوان ولا تستكين اليه ! .

وما عاد فريد مساءاً إلى الدار حتى علم عصمت افندي الأب البار بكل شيء فشرع يلقي على ابنه دروساً زادت بها غبطة فريد من أخلاقه الحسنة، وجعل الأب يتعهد هذا الغرس اليانع أفضل تعهد ، إذ كان ابنه الوحيد الذي من أجله ومن أجل مستقبله غادر بلاده فاراً مما بها من الحاد وتمدن أوربي خداع .

ولم تمض الايام حتى كان فريد قد تعود على مشاهدة مناظر الضرب وسماع الفاظ الشتم والسب ولكنه ما كان يترك ماعزم عليه من تقليل أمثال هذه الحوادث فشرع يحث زملاءه على الاجتهاد ويغريهم به ، ويبث فى زملائه روح الاخلاص والود فما افترق اثنان إلا جمع بينهما ، ولا تشاجر طالبان إلا اصلح بينهما ، حتى اصبح فصله انموذجا حسناً بين عموم الفصول .

من آثار الحرب على الصحافة

بيان واعتذار

لقد لمس قراؤنا الكرام حرصنا على استمرار اصدار المجلة ووصولها الى أيديهم فى المواعيد المقررة تماماً . والحرب الحاضرة قد أثرت على الورق فارتفعت أسعاره ، فتأثرت بذلك الصحافة العالمية فخفضت عدد صفحاتها لتضمن دوام الصدور ولئلا تحرم قراؤها من ثمارها المفيدة وهذا العامل نفسه هو الذى الجأنا الى تخفيض عدد صفحات المنهل الى هذا القدر عازمين بحول الله تعالى وحسن توفيقه على استمرار اصدار اجزائه فى غرة كل شهر عربى بدون تأخر وبهذه المناسبة يرجو « قلم » تحرير المجلة من حضرات الأدباء المساهمين فى تحريره ان يراعوا الحالة الجديدة ، فتكون بحوثهم نثراً وشعراً فى النافع المهم ، مع الاختصار بقدر الامكان هذا ونظراً للحالة المشار اليها آنفاً قد عزمنا على نشر فصول كتاب « فتح الله بن النحاس : شاعريته وسيرته » تباعا فى المجلة ابتداءاً من الجزء القادم .

بينما كان فريد يستعد للدخول فى امتحان النقل تجهم القدر لهذه الاسرة السعيدة فقلب لها ظهر المجن وانتشل منها رئيسها وعميدها بعد أن امهله مقدار اسبوع تقلب خلالها على فراش الموت ، وهكذا انتقل عصمت أفندى إلى دار البقاء تاركا ابنه وزوجه فى دار الغربة لا عائل لهما ولا معين اللهم الا رجلا كان يتوسم فيه الخير فاقامه وصياً عليهم .

شيع فريد جنازة والده بعين باكية وقلب حزين تجلى اثرهما واضحاً فى فصله ومدرسته إذ كان الجميع يشارك فريداً فى مصابه الاليم ولكن كل ذلك لم يثن فريداً من الدخول فى الامتحان ونيل أعلى الدرجات فيه .

افتتح العام الدراسى الجديد فقصد فريد مدرسته وكله حيوية ونشاط إذ ان والدته كانت امرأة حكيمة ومربية قديرة تولت السهر على تربية ابنها ووحيدها فريد حرصاً على مستقبله العلمى ان لايضيع ، الا ان هذا الرجل احسان أفندى الذي أقامه والد فريد وصيا عليه كان يطمع فى ماله وكان همه ان يستولى على كل ما يملكه ليعيش سعيداً ويطرد فريداً وأمه فشرع يعامل فريداً بالشدة ويسمعه من كلمات السب والشتم ما يجرح عاطفته الحساسة وشعوره المرهف .

ها هو القدر يسخر من فريد ويسمعه من الفاظ السب القبيحة ما لم يكن يرضاها لزملائه وطالما كان يتمنى ان يحظى بساعات سعيدة يسمع فيها الفاظ التقدير والتشجيع بدل هذه الالفاظ النابية ، ولكن فريداً الآن مكسور الجناح مهيض النفس فيتحمل كل ذلك عن طيب نفس منه حتى يتم دراسته ويثبت رشده فيتسلم عموم الاموال من هذا الفاتك الشرس .

لم تستطع الأم البارة « سعاده » ان تتحمل كل مايجري أمامها على مسرح الحياة لاسيما وانها قريبة عهد بجرح لم يندمل بعد فرضت مرضاً شديداً دام ثلاثة اشهر واستنزف كل ما عندها من قوى وجعلها شبحاً على عتبة الموت ، وفى ساعة من ساعات المرض الشديدة اشارت إلى ابنها الذى لم يكن يفارق فراشها بان يقترب منها ليسمع وصيتها ونصيحتها الاخيرة .

اي بنى ! حضنتك ونشأتك صغيراً ولم أحوجك يوماً إلى احد ؛ ولم أكل تربيتك إلى امرأة سواي ؛ وكنت اتمنى ان أراك شابا مكتمل الرجولة أما وان ... الموت .... سوف .... يحول .... بينى .... وبينك ....

شهق فريد من شدة المصاب واجهش بالبكاء واغمى على والدته فذهب ينضح عليها الماء علها تفيق من اغماءتها ولكنها لم تسترد شعورها الا ريثما اشارت بطلب قليل من الماء وقبل ان تشرب الاقليلامنه قضت نحبها ولحقت بربها وخالقها

« لها بقية » ابن سلع

احمد بوشناق

المنهل
مجلة تخدم الأدب والثقافة والعلم

الموضوعات